إشكالية اختلاف التقييم الجمالى بين المتخصصين والعامة
دراسة حالة منطقة القاهرة التاريخية

على محمد الحسينى
مدرس بقسم الهندسة المعمارية – كلية الهندسة – جامعة المنيا

ملخص
تشكل منطقة القاهرة التاريخية قيمة جمالية فريدة يتمتع بها كل من أقام فيها أو مر بطرقاتها على حد سواء. وقد تراكمت مقومات الجمال فى تلك المنطقة الواسعة من النسيج العمرانى على مر عصور طويلة واستمدت قيمتها من تاريخها الممتد والذى يشهد عليه كثير من مبانيها الأثرية والتراثية. وبالرغم من الإجماع على تقدير ذلك الجمال إلا أن الاختلاف فى زوايا رؤيته يجعل خطط الحفاظ والتطوير خاضعة لتوجهات مختلفة خاصة بين القائمين على عمليات الحفاظ والتطوير من المتخصصين وسكان تلك المنطقة ومستعمليها من العامة. ويناقش البحث تصنيف مستويات الادراك للجمال لدى الطرفين بهدف فهم كل طرف لرؤية الآخر وكيفية تذوقه للجمال حتى تتكامل الأهداف بداية من اتخاذ القرارات وتجديد المبانى والمرافق إلى القيام بصيانتها واشغالها بالأنشطة الحياتية المختلفة. ويبرز البحث خطورة قصور إدراك المتخصصين لجماليات المنطقة لما لهم من يد عليا فى اتخاذ القرارات، ولذا يتوجه بقدر من التوصيات لحساسية عملية رفع مهارات التذوق الفنى والجمال الشكلى لدى العامة، ولكن يتوجه بالقدر الأكبر من التوصيات للمتخصصين أنفسهم بتوسعة مداركهم للإلمام بالقيم الباطنة لجماليات المنطقة وعدم التكلف فى التعامل مع المتغيرات المعقدة لحياة المنطقة والتى هى من أهم أسباب جمالها. كما يوجه البحث النظر إلى رهافة الحس حتى عند التعامل مع الجماليات من الناحية الشكلية.

1- مقدمة

لا شك أن للقاهرة التاريخية جمالا مميزا يشعر به ويقدره العامة والخاصة. وبالإضافة إلى اكتساب أحياءها الجمال بتضمنها من الآثار ما يجعلها متحفا مفتوحا من أعظم المتاحف فى العالم، إلا أنها لم تخلو يوما من الحياة الاجتماعية التى تشكلت معها أحداث عصور متتابعة من أزهى فترات تاريخ الحضارة المصرية. والقاهرة التاريخية تعد من المناطق السكنية فى المقام الأول، يختلط فيها التاريخ مع الإنسان فتتوارث الأجيال المتتابعة بيئة عمرانية لها ثقافتها الخاصة وتفاعلات إنسانية فريدة تعد جزءا أصيلا من تكوين منطقة تميزت بها مصر عن سائر البلاد.

ومن هذا المنطلق يقع عبء الحفاظ على هذا التراث القومى بكل مقوماته الأصيلة على عاتق طرفين متكاملين فى إطار مشاركة نابعة من إحساس الجميع بقيمة المكان. الطرف الأول هو الدولة وتتمثل فى الجهات المتخصصة فى عملية الإحياء من مخططين وفنانين ومتخصصين فى ا

لترميم وغيرهم ، أما الطرف الثانى فهو قاطنى هذا المكان ومستعمليه. ففى حين يبذل المتخصصون والمعماريون الجهد فى عمليات الترميم الواسعة وصيانة المبانى الأثرية والتراثية فعلى المستعمل والساكن دور لا يقل أهمية فى الحفاظ على نظافة وصيانة ذلك التراث. وقد لزم لوجود مشاركة صادقة تؤتى ثمارها أن يكون هناك أرضية مشتركة لتقدير القيمة فى المكان من خلال تعريف الجماليات وأعين متوافقة فى تمييز الجميل واستنفار القبيح.

وتبرز أهمية هذا البحث فى استشعار إغفال المتخصصين ومتخذى القرارات للدور الهام للعامة من السكان فى عمليات التجديد والترميم الواسعة التى تقوم بها الدولة بسبب عدم وجود تواصل كافى بين الطرفين. ولعل من أسباب عدم التوافق والاتصال وجود فجوة فى تقييم المظاهر الجمالية وتباين فى التذوق الفنى نتيجة اختلاف زوايا الرؤية للحفاظ على المنطقة، أو وجود مفارقة فى تعريف الجمال. ويحاول البحث إلقاء الضوء على ذلك الاختلاف مستعينا بالربط بين نظريات الإدراك وتحليل الدوافع النفسية لسلوكيات السكان، ومن ثم الوصول إلى توصيات لتوسيع مجال الإدراك ووضع خطوط عامة لاستراتيجيات تذوق القيمة الجمالية لتلك المنطقة وثرواتها.

شكل رقم 1 : تختلط الآثار بالمساكن فى أحياء القاهرة القديمة بحيث لا نستطيع فصل الإدراك العام للحياة اليومية فى المنطقة عن جمال المبانى الأثرية والتراث

ويتبع البحث منهجية تعتمد على المعايشة والاحتكاك المباشر بالمكان والسكان والتعرف بعمق على طبيعة الحياة فى منطقة الدراسة. وقد اعتمد البحث على الملاحظة لأوجه النشاط المؤدى إلى تميز المنطقة بمظهرها الفريد ، ومن ثم كان لابد من اللقاءات غير المرتبة مع أهالى المنطقة للتعرف على أهم مسببات السولكيات التى تهم البحث وتم رصدها ، بالإضافة إلى التعرف على مفهوم الجمال والقبح فى الأذهان ومدى اختلاف زوايا رؤيته بين العامة والمتخصصين من المعماريين أو الفنانين.

2- إشكالية تقييم مظاهر الجمال

وبمراجعة الدراسات النظرية التى تناولت قضية انفصال المتخصصين عن الواقع والتى كانت محل نظر الباحثين فى مجال السلوكيات وعلم النفس البيئى فقد تبين أن من أهم أسباب ذلك الخلاف هو التباين الاجتماعى بين المصمم أو الباحث والمستعملين. وتظهر المشكلة بوضوح فى حالة المشروعات العامة أو ذات البعد القومى حيث يقوم باعتماد المقترحات والحلول متخصصون هم أقرب فى الثقافة ودرجة التعليم من واضعى تلك الدراسات فى حين تتسع الفجوة بين المصمم أومتخذ القرار وبين المستعمل الحقيقى والمستفيد من تلك الدراسات. ويرى رابوبور (1970) أنه حتى فى حالة اللجوء إلى مبدأ المشاركة الشعبية يتم اختيار ممثلى المستعمل بعناية (وقد يكون لا إراديا من باب التسهيل) بحيث يكونوا من نفس طبقة المصمم أو الباحث. فكثيرا ما يكون أعضاء المنظمات الأهلية من المهندسين والأطباء وأساتذة باحثين وكفاءات مهنية أخرى . وإن كانت تلك الفئة هى الأقدر على التعبير وصياغة الأفكار المنظمة من خلال القنوات الرسمية إلا أنهم ليسوا بالضرورة ممثلين حقيقيين للقاعدة العريضة ، وبالتالى لا يصيغون الاحتياج الفعلى والحقيقى لمن يمثلونهم.

وإن كان من الصعب تمثيل القاعدة العامة فى تحديد الأولويات لتلبية الاحتياجات الانسانية فى المشروعات التى تتعلق بالحفاظ على البيئة وتطويرها، فإن المشكلة تزداد تعقيدا عند محاولة التعرف على القيم المتعلقة بالثقافة ومنها التذوق الفنى للقيم الجمالية. وعملية إدراك الجمال والقبح هى عملية معقدة احتار فيها المتخصوصون سواء الفلاسفة أو علماء النفس وظهر فيها العديد من الدراسات منذ نهاية القرن التاسع عشر. فقد عبر إيتلسون عن إدراك الشئ بأنه يختلف من شخص لآخر بحسب توجهه الشخصى عند النظر إليه ووظيفته بالنسبة له، حيث أن إدراك الشكليات لا ينفصل عن قيمتها ومعناها.[1] فعند تقييم أغلب المعماريين لجمال العمارة البيئية سواء فى الواحات أو فى النوبة أو المجتمعات البدائية فإن نظرتهم لا تتجاوز النقد الفنى لتجانس المواد أوالظل والنور أو النسب فى التكوينات، ولكن فى الغالب ليس من بينهم من هو على استعداد لل مءيشق فى إحدى هذه البيئات رغم إعجابه بها، فالفنان فى هذه الحالة هو صاحب تقدير لجمال شكلى وإعجاب بتكوين تلقائى يختلف فى صورته عن تقدير صاحب العمل نفسه أو المقيم فيه والذى غالبا ما يكون هو نفسه صانعه ومبدعه بل هو مرتبط به وجدانيا ولكن ليس له قدرة التعبير عن ذلك الشعور. إذن مفهوم الجمال الفطرى يتمتع بنظرة أشمل بحكم المعايشة والتكوين الاجتماعى والتوارث. وقد عبر رابوبور عن هذا المعنى بأن تقدير جمال الشئ يكون غالبا بقيمة الصفات المصاحبة له أكثر من الإعجاب المجرد به، فالإعجاب بالأرض الخضراء نابع من ميزات مصاحبة مثل الجلوس عليها أو التمتع بالنظر إليها ومن ثم تختلف وجهات النظر الإدراكية.[2]

---

[1] **Ittelson, William**: *"Environment Perception and Contemporary Perceptual Theory" in "Environmental Psychology, People and their Physical Settings"* edited by Harold Proshansky, William Ittelson, and Leanne G. Rivlin, p.152.

[2] **Rapoport, Amos***: "Pedestrian Street Use: Culture and Perception" in Public Streets for Public Use"* edited by Anne Vernez Moudon, p85.

3 - تقييم مظاهر الجمال بناء على نظريات الإدراك

ويتبنى هذا البحث تخطى مفهوم الإدراك السطحى الذى عادة ما يقف عنده المتخصصون ويتم التركيز فيه على الخصائص الخارجية المميزة للمثير الجمالى مثل المساجد الأثرية والمبانى التراثية إلى منظور أشمل قائم على تحليل المراحل الإدراكية إلى سلسلة من الخطوات أهمها:

- النظر إلى المثير البصرى ويقابله الإدراك على المستوى الشكلى،
- ثم تحليل وترميز المعلومات، ويقابله الإدراك على المستوى العقلى
- ثم تخزينها وتراكمها فى الذاكرة وترسيخ المفاهيم، ويقابل ذلك إدراكا على المستوى المعرفى وهو الأقوى والأعمق حيث يتم استخلاص القيم عن طريق الخبرات المتراكمة والتجارب المتتابعة عبر سنوات الحياة.

3- 1 الإدراك على المستوى الشكلى

والإدراك على المستوى الشكلى هو استقبال الحواس للمثير جميلا كان أو قبيحا والحكم عليه برد فعل حدسى. وتختلف قوة الإدراك على هذا المستوى من شخص لآخر حسب تدريب العين على التقاط عناصر الإنسجام وكذلك النشاز الشكلى فى بيئة ما. والنشاز فى عنصرلا يكون لذاته وإنما لوجوده فى وسط مخالف له فى طبيعته، ولذا فالنشاز ليس له طابع محدد وإنما يتوقف على الحكم عليه فى موضعه، حتى وإن كان جميلا فى حد ذاته بصورة منفصلة . ولا يحتاج الحكم على توافق الألوان أو المواد من عدمه أو الالتزام بطابع معمارى معين إلى تحليل عقلى متعمق، وإنما يكون المتخصص أكثر خبرة فى النقض الفنى للجمال الشكلى للأشياء لتمتعه بعين أكثر تدريبا على التدقيق والتقاط مقومات الجمال ومن ثم الإعجاب بها من الوهلة الأولى.

3-2 الإدراك على المستوى العقلى

أما إدراك الجمال على المستوى العقلى فهو مرحلة تالية لاستقبال المثير الجمالى . وعلى هذا المستوى يقوم العقل بدور فى تحليل البيانات المستقبلة ويقيس مدى تطابقها مع المنطق.[3] فبعض ما لا تتقبله العين من المظاهر العمرانية أو السلوكية قد يتقبله العقل بالتحليل فيتحول من مظهر منتقد إلى ما هو مقبول ، بل قد ينقلب إلى منظر محبب يتصف بالجمال فى بعض الأحيان والعكس صحيح. ونضرب مثلا شاطئ النيل حيث يتوقع العقل التمتع بخصوصية النظر إلى انعكاسات المبانى والأشجار على صفحة النيل. فإن حجب النهر بواسطة عناصر معطلة لهذا الاستمتاع الجمالى بالنهر عن طريق الأشجار أو أسوار الزرع مثلا تنافى ذلك مع المنطق العقلى بالرغم من أن المانع من الرؤية عنصرا جماليا فى حد ذاته ولكنه ينقلب إلى الضد فى ذلك . وكذلك فى أحياء القاهرة التاريخية حين رؤية الملابس المدلاة من أحبال النشر فى الشرفات ، والتى قد ينتقدها المتلقى فى بيئات تتمتع بمستوى اجتماعى راقى ولكنها تتوافق مع منطق المستوى الاجتماعى الاقتصادى السلوكى لسكان الأحياء الشعبية ولا تصير مقبولة فحسب، بل تتحول إلى مظهر جمالى بإضافتها الألوان المتنوعة على الفراغ العمرانى وتضفى حياة لها طابع خاص يتفق مع طبيعة المكان.

---

[3] **Lang, Jon:** *"Creating Architectural Theory: The Role of the Behavioral Sciences in Environmental Design"*, Van Nostrand Reinhold Company, New York, 1987. p196.

3-3 الإدراك على المستوى المعرفى

أما إدراك الجمال على المستوى المعرفى فإن التقييم للعنصر المرئى يكون فى أعماق العقل المعرفى للإنسان. وينتقل التحليل الجمالى إلى وعاء أكثر عمقا فى الوجدان حيث يضم معرفة ترسبت عبر أزمنة طويلة من الخبرات الانسانية فى اللاشعور. وي تداخل فى عملية التذوق إدراكا أوسع وأشمل للصفات فيلتبس المفهوم الشكلى مع القيم الأ خلاقية و المثل و التاريخ المكون **"للثقافة"**. ويقترب التفريق بين الجمال والقبح على هذا المستوى من مفهوم ارتباط الجمال بالخير وارتباط القبح بالشر فى الرؤية الفلسفية لأفلاطون فى نظرته للجمال حيث تعبر الأشياء عن قيم ورموز سامية[4]. ويظهر على هذا النحو إدراكا جماليا واضحا فى القاهرة الفاطمية حيث يكون النشاط الانسانى من أهم العناصر المرئية التى تعبر عن حيوية المناطق التاريخية على صورتها الطبيعية والتى تحمل فى طياتها تعبيرا مميزا عن الدين والأصالة لتعد من أسباب الجمال فيها. فعندما يتعرف المتلقى على الحالة الاجتماعية لسكان هذه الأحياء وعلاقة بعضهم ببعض وصور التآخى والترابط والامتزاج فيما بينهم يدرك قيم مضافة تنقل المتلقى من مجال التجربة البصرية إلى المعايشة والانصهار فى جماليات المجتمع. بل قد تمتد القيمة الجمالية بالنسبة للمقيمين فيها إلى ذكريات الآباء والأجداد لأهل الحى ومعاصرة المحن والأفراح التى مر بها الأسر والعائلات من الجيران، وكيف شبت الأجيال وامتزجت كما امتزج الآباء من قبل. فترى أحيانا قيم الخير من التواصل والمساعدات الإنسانية تتغلف وتستتر فى عمليات الشراء والبيع الظاهرية، والاستأناس والمواساة ومشاركة الأحوال والمشاعر مغلفة فى حركة المشاة، والاحساس بالأمان والمساندة والعشرة تكمن فى الزحام ، والترابط الاجتماعى للجيران يتأكد من خلال لعب الأطفال. فلا يدرك المعانى الباطنة للسلوكيات إلا من عايش المكان وتراكم لديه خبرات تصل إلى عمق المعرفة.

4- جوانب الاختلاف فى الإدراك الجمالى

ويجدر بنا مناقشة مدى تعقيد تشابك القيم الشكلية مقابل القيم المعرفية عند إدراك الجمال. ف من خلال اللقاءات سواء مع أهالى المنطقة أو المتخصصين من المعماريين والحديث عن أوجه الجمال، عادة ما يتم الخلط بين الشكل والمفهوم والمعنى ، ويتم اختزال القيم الثلاثة بتلقائية تحت المسمى الأشمل والأعم "الجمال" أو "القبح". وبتحليل مستويات الإدراك يمكن القول بأن العنصر الواحد إنما يتمتع بمزيج من المقومات شكلا ومفهوما ومعنى ولا يمكن الفصل بين تلك المقومات بوضوح كامل.[5] فالاستمتاع بالشراء أثناء الحركة فى فراغات حيوية ، وممتعة، فى بيئة مظللة ، يتوافر فيها الأصالة ، ويتخللها عبق التاريخ ومجد الأجداد ، يجعل المكان جميلا با متزاج كل تلك

---

[4] وقد ذكرت **د.أميرة مطر** فى كتابها "فلسفة الجمال"(ص 110 ،111) أن تراث إفلاطون يظهر أوضح ما يكون عند مفكرى العرب الصوفية على وجه الخصوص ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى استعمالهم الرموز المعبرة عن العالم الباطنى أو العالم المقدس الروحانى. وقد اتفق كل هذا مع كل ما يتميز به التصوير الاسلامى من بعد عن تصوير الطبيعة تصويرا حرفيا واتجاهه إلى التجريد ظهر خاصة فى فن الزخرفة والمنحنيات وطباعة المنسوجات وفى فن الخط العربى.

5 وهو ما يتوافق مع آراء الكثير من علماء النفس المهتمين بالجمال مثل أرنهايم فى فكر تقييم الجمال فى مدرسة جشطلت، وأفكار دانيال برلين فى علم النفس التجريبى

الادراكات على مختلف مستوياتها . ويختلف كل من المتخصصين والعامة فى تقدير أهمية نواحى الإدراك بحسب ميزانه الخاص وظروف تعرضه للمثير الجمالى ومشاهدته إياه.[6]

ومن الطبيعى أن يختلف تقدير جمال المنطقة التاريخية فيما بين المتخصصين أوالفنانين وبين الأهالى من العامة كما ونوعا على مستويات الادراك الثلاثة. أما الكم فالمقصود به مدة زمن التعرض، حيث يتعرض المقيمون بالمنطقة للمثيرات الجمالية من المبانى الأثرية والتراثية على مدى زمنى متواصل قد يفقدها الجذب والإثارة بحكم العادة، فى حين تزيد قيم الإدراك على المستوى العقلى والمعرفى بحكم تفاعلاتهم الإنسانية المستمرة [7]. وعلى العكس يتعرض الزائر للمثير الجمالى مرورا عابرا يدرك من خلاله القيمة الشكلية على نحو مدهش فى حين يقل الإدراك العقلى وقد ينعدم الإدراك المعرفى الذى لا يبنى إلا على المعايشة. ف عندما نجد الميل من جانب الزائرين إلى التواجد فى المقاهى والساحات فى شهر رمضان لإلتماس روح المكان والقيم الأصيلة بالتواجد فى نشاط إنسانى فريد تتميز به القاهرة التاريخية، فإنه لا يدرك أن هذا المكان قد تهيأ خصيصا وتشكل لاستقبال الغرباء فى أماكن محدودة ولا يكاد الزائر يمس فيها التفاعل الإنسانى الحقيقى للمنطقة ويكون نصيبه من الإدراك ما قد تم بناءه على انطباع أو معرفة سطحية أو قليل مما ينسجه خياله المبنى على الإعلام التليفزيونى.

والعلاقات الإنسانية هى حجر الزاوية فى جمال المنطقة على مستوى الإدراك المعرفى، وتنميتها والحفاظ على تم اسك الأهالى من السكان هو أساس الحفاظ عليها. ف قد يتأثر الزائر كثيرا بوجود بعض القمامة على قارعة الطريق خلال مدة زمنية لا تتجاوز مروره بها نتيجة حساسية إدراكه والذى لا يختلف الساكن عنه فى ذلك ، إلا أن الأخير يزيد عنه تضررا نتيجة تعرضه المستمر لها ما دامت باقية ،[8] بالإضافة إلى أنه قد أوذى برائحتها الكريهة بدرجة أكبر. ويتضاعف الأذى بالنسبة للساكن عند قناعته بأنه لا سبيل لرفع تلك القمامة إلا أن ينظف المكان بنفسه، مما يلقى مسئولية إضافية على عاتقه، فيتجاوز القبح فى م فهومه الشكلى. وقد يزيد من قبح إلقاءها تحايل

---

6 كما يرى كروزير وشابمن فى كتابهما "The cognitive Processes of the Perception of Art" أن الإدراك الفنى يمكن أن يكون مفهوما فقط إذا نظر إليها بوصفها كليات ذات شكل خاص، فالتفاحة مثلا ليست مجرد تجميع للعناصر الكونة للتفاح كاللون الأحمر مثلا، والشكل الخاص، والصلابة، والستدارة ، والرائحة...إلخ. فالكل أو "الصيغة الكلية" لاتى تكون التفاحة ليست مجرد تجميع لهذه العناصر، بل تنظيم لها بشكل خاص ومتميز وفريد.

7 ويفرق "الكم" المقصود هنا عن "الكم" الذى تكلم عنه الفيلسوف كانط فى كتابه "Critique of Judgment" حيث شرح الحكم الاستاطيقى بأربعة مراحل: اللحظة الأولى وفقا للكيف، واللحظة الثانية "وفقا للكم" ، واالحظة الثالثة "وفقا للكلية"، واللحظة الرابعة "وفقا للضرورة". فالكم عند كان ط يقصد به درجة الإلمام الجمال الشكلى من حيث مساحته Totality والتى شرحته د. **أميرة مطر** فى كتابها " فلسفة الجمال" فى ثلاثة مراحل فقط بدمج اللاحظتين الثالثة والرابعة (ص 132) .أما فى هذا البحث يقصد به زمن التعرض للمثير الجمالى ومن حيث التشبع بالنظر. فإنه فى نظر الباحث تزيد طرديا درجة الإدراك والإلمام بالقيمة فى المثير الجمالى من حيث الأوجه جميعا شكلا وعقلا ومعنى مع زيادة زمن التعرض، حتى ينقلب المنحنى فتقل درجة الإدراك مع المبالغة فى التعرض الزمنى للمثير الجمالى بحكم المعايشة والعادة. وفى هذه الحالة تكون العين الغريبة أكثر إدراكا من العين المتعايشة مع المثير الجمالى.

8 فقد ثبت أن المتخصصين والعامة يشتركون فى تقييم وجود القمامة أنه من عوامل التلوث البصرى – أنظر دراسة **د. محمود يسرى**: " التلوث المرئى للقاهرة الكبرى- الجزء الأول: دراسة حالة القاهرة التاريخية " - التقرير الدورى الثالث – أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا- المجالس النوعية- مجلس بحوث التشييد والمجتمعات الجديدة – 2002

جار له يفترض أن يراعى مشاعره ولكنه آثر نفسه عليه بإبعادها عن نفسه، مما يضيف إلى عملية الإلقاء قبح أخلاقى. و غالبا لا يتمكن الزائر أو المتخصص العابر من الإلمام بهذا النوع من الإدراك ويخفى عليه تفسيرات تحتاج إلى خلفية معرفية أكبر مثل اضطرار الساكن أو إهمال الجهات المسئولة عن النظافة و قد يسارع بالتوصية فى دراساته برفع مستوى التوعية البيئية للسكان وتعليمهم الأضرار الصحية للقمامة وخطورة انتشار الذباب على سبيل المثال.

وأما بالنسبة للمبانى التراثية فى المنطقة فإنه عند تقييم آراء الكثير ين من المعماريين والمتخصصين عند تناول الجماليات الخاصة بها تتعلق الأذهان بالقيمة الشكلية للتراث المعمارى وتبعد كثيرا عن قيمة المنفعة القائمة على الاستعمال والتفاعل الإنسانى معها ، وتزيد بعدا من المعانى الكامنة وراء القيمة الحسية، فيصب إهتمام الهيئات المسئولة عن التطوير بعملية ترميم المبانى بعيدا عن التطرق للإنسانيات. أما بالنسبة للسكان فيميل التطرق للجمال فى الأغلب جهة الاستعمال والوظيفة فى عناصر العمران، فيكون جمال المسجد بصلاة الفروض فيه ، والمحلات بالشراء والبيع فيها، والجمال المعمارى بالأداء الوظيفى والأمان والتهوية ودخول الشمس للمبانى وغيرها.[9]

فعلى قدر التعاملات اليومية فى البيئة العمرانية يتعمق التفسير العقلى للجوانب الجمالية تبعا لأولويات الاحتياجات الإنسانية للمتلقى. ويظهر ذلك فى وصف الأهالى بالجميل كل ما يتطرق إلى المنفعة والاحتياج المعيشى ولا يتصل بنفس الدرجة من الشكلية فى تقييم الجمال. ولذا نجد الجماليات تتعلق بالنظافة ورفع القمامة والترتيب واستواء الأرضيات والصرف الصحى وخدمات التموين والمواصلات وفى كل من ذلك ارتباطا وثيقا بالمنفعة تلقى تقديرا أكبر من ذلك الجمال الذى يتعلق بالطابع المعمارى والمبانى والزخارف والحليات وأعمدة الإنارة الأصيلة وغيرها من العناصر. ولاشك أن العامى يتفاعل مع تلك المقومات الجمالية ولكن على مستوى المعايشة لأنه يسكنها ويستفيد منها حتى وإن لم يشعر بقيمتها على المستوى البصرى بأن يكتفى بالنظر إلى واجهات المبانى الفريدة من وجهة نظر المتخصصين.

5- النتائج

مما سبق من تحليل لدراسة الإدراك ودرجاته يمكن استخلاص عدة نتائج أهمها أن أى فصل بين السكان وعمران المنطقة التاريخية يعد انتقاصا من مقومات جمالها، بل يشكل إعاقة لتفاعلات إنسانية طبيعية امتدت على مدى عشرات بل مئات السنين. كما أن قرارات التنمية تستلزم حرصا كبيرا حيث لا حد لتفاعلات الإنسان مع البيئة وأن لكل فعل ردود أفعال من طرفى التفاعل بحثا من المستعمل عن معادلة توائم بين المكان واحتياجاته، أو ينسحب فى حالة الضغوط المتزايدة. وعند اتخاذ قرارات متسرعة أو غير مدروسة فى البيئات الإنسانية ذات الحساسية ينتج العديد من التفاعلات المعقدة منها ما هو متوقع ومنها أيضا ما لا يمكن التنبؤ به، وعندئذ لا تقل قرارات المتخصصين خطورة عن المشكلات التى تعالجها.

[9] المرجع السابق- ص79

كما تبين من البحث أن الحياة الطبيعية والتفاعلات الانسانية هى من أهم مقومات الجمال فى المنطقة. وقد اختلطت حيوية المكان بالعمران فتكون الطابع الخاص بالمنطقة، والذى توارثته الأجيال فى إطار عمران شبه ثابت. ولا يتم إدراك التفاعلات الإنسانية إلا على المستوى العقلى والمعرفى بواسطة المعايشة والاندماج فى الأحداث. وفى حالة تجاهل الإدراك الجمالى للمنطقة على هذا المستوى فى أى من مشروعات التطوير تهدد المشاعر المميزة لها، وغالبا ما يختفى ذلك الدفء الذى يشعر به الساكن أو الزائر حتى وإن كان أجنبيا، خاصة وأن التأثير الجمالى على المستوى الشكلى عادة ما يكون صاحب النصيب الأكبر من الأهمية من قبل متخذى القرارات والمتخصصين لأنه أكثر نتائج التنمية وضوحا وأيسرها تحقيقا وأسرعها إذا ما توفرت الموارد المالية.

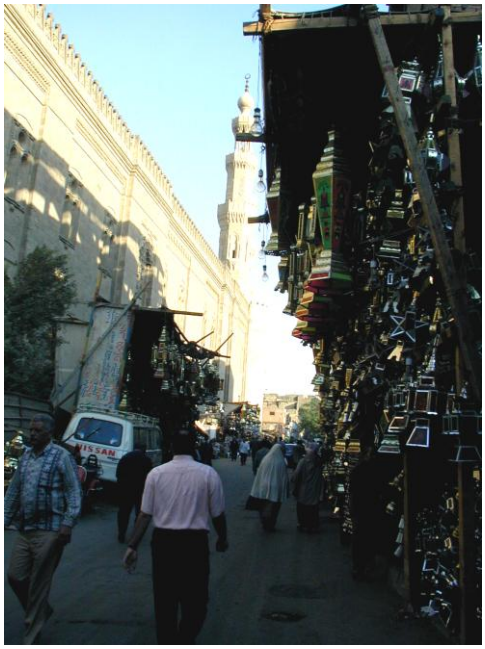

شكل رقم 2 : من أجمل ما يميز منطقة تحت الربع صناعة فوانيس رمضان التى تملأ فراغ شارع الدرب الأحمربالحيوية

كما استخلص البحث أن عدم التواصل فى إدراك المثير هو أمر طبيعى لاختلاف الثقافة والتفكير والتجارب بين الطرفين، وانه من الطبيعى ان يكون المتخصص على درجة عالية من الإدراك على المستوى الشكلى بسبب مهارة الملاحظة بعيون مدربة على التقاط جماليات المادة بينما العامة من الأهالى تكون أكثر تعمقا فى إدراك الجمال حيث التعايش مع تلك العناصر الجمالية يطغى على مجرد النظر إليها.

6- التوصيات

وبناء على نتائج البحث سيكون للتوصيات مسارين متوازيين بهدف التقاء وتفهم العامة والمتخصصين للجوانب الجمالية المختلفة ليكون لدى كلا الجانبين إلماما أكبر بمقومات الجمال وإدراك أشمل له. ثم تتناول التوصيات عنصر "الانتماء" بالمراجعة وتوسيع نطاقاته كعنصر لابد منه فى زيادة تذوق الجماليات فى القاهرة التاريخية سواء بالنسبة للعامة أو المتخصصين.

6-1 رفع مستوى التذوق الفنى لدى العامة

ويتبنى هذا المسار توجيه العامة من الأهالى ومستعملى الفراغات العمرانية لتنمية التذوق الفنى لديهم بغرض إدراك القيمة الفنية للمبانى التراثية والآثار الإسلامية التى تزخر بها المنطقة.

6-1-1 التوجه التثقيفى فى رفع مستوى التذوق الفنى

يقع عاتق رفع التذوق الفنى للعامة على مؤسسات عديدة من الدولة من أهمها التعليم والإعلام حيث يلعب الدور الأكبر فى التأثير على صياغة القيم بما فيها الحس الفنى. ولكن بداية لا ينبغى الفصل بين التذوق الفنى والثقافة بمفهومها العام ، ومن البديهى أن يتأثر هذا الجزء اليسير بأسلوب الحياة ومجموعة القيم من جهة كما يتأثر بباقى مكونات الثقافة التى تشكل مجموعة المعارف الخاصة . بل علينا الاعتراف بأن التذوق الفنى يتراجع فى الأهمية والمكانة الثقافية حين ينشغل الإنسان بتنمية معرفية أساسية تتعلق بصميم الكفاح والكد فى المعيشة لمجرد البقاء أو بالسعى داخل دوائر لا تنتهى من المعرفة للمؤثرات المحيطة بالحصول على الرزق.

وبما أن الجمال يأتى فى ذيل قائمة الاحتياجات الانسانية بعد المأوى والمأكل والاحتياجات النفسية والاجتماعية والتى بها يشعر الإنسان بكينونته فإن حاسة التذوق الجمالى قد تزداد رقة بزيادة المستوى المعيشى، ولا تحصل على الاهتمام الكامل إلا بعد استيفاء كافة الاحتياجات الأساسية لبقاء الإنسان. وثقافة الإنسان بمختلف جوانبها لا تنفصل عن المستوى الاجتماعى والاقتصادى والدينى وبالتالى لا ينفصل أى منها عن التأثير فى مستوى التذوق الفنى. وبالتالى فإنه من الصعب أن نتناول مسألة مستوى التذوق الفنى فى معزل عن ثقافة المتلقى المتكونة عبر تاريخه وظروف حياته. وقد لا نكون مبالغين حين نعلق تنمية التذوق الفنى على جوانب غير مباشرة مثل مقومات الارتقاء بالمستوى المعيشى مثل الاهتمام بتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والرعاية الأسرية أو تأمين وفرة المواد التموينية وتيسير المواصلات أو توفير مياه الشرب والصرف الصحى ، فإن كل ذلك من عوامل رفع المستوى الفنى.

وإن كان تشكيل الثقافة بمعناها الشامل يرتبط بشتى نواحى الحياة، إلا أن هناك دائما فرصة للتأثير على بعض جوانبها أو التركيز على بعض القيم دون أخرى عن طريق قوة التوجيه المعنوى لإعادة تنظيم الأولويات والأعراف السائدة والتى قد تناقض أحيانا التفكير العقلى المنطقى. فكم من سلوكيات نتجت عن تفاعلا ت نفسية خالفت المنطق العقلى المباشر ، وتظهر فى حياتنا تارة فى الإنفاق من الوقت والمال لتشجيع الفرق الرياضية، وتارة أخرى فى الاستغناء عن المال والصحة من أجل التدخين من قبل فئات تكدح للحصول على قوت اليوم أوإعالة أسرها. ذلك بأن التوجيه المعنوى أيا كان مصدره يمكنه التأثير فى الوزن النسبى للقيم الإنسانية والأولويات فى المجتمعات.

ومن أهم أدوات التوجيه المعنوى التوجه التثقيفى والتوجه التعليمى لأفراد المجتمع. ويختلف التوجه التثقيفى عن التوجه التعليمى التدريبى ولكن كل منهما مكمل للآخر. فالعملية التثقيفية تنهض بها مؤسسات الإعلام المختلفة بوسائط ذات تأثير متراكم تقوم بتشكيل ال مفاهيم تدريجيا حتى يتذوق الإنسان ما يعرض عليه من فن. أما التوجه التعليمى فهو قائم على تقديم المعلومات المباشرة عن طريق قنوات التعليم وتنمية المهارات فى مناهج متسلسلة فى القدرات.

2-1-6 استكشاف الجمال التلقائى من مصادره البيئية

ولا يقتصر هدف الارتقاء بالتذوق الفنى للعامة على تنمية مهارات التلقى فقط ولكن الهدف الأهم أن يتم إبداع الفنون من قاعدة المجتمع. فإن التدخل من جانب المتخصص والفنان من خارج النسق الثقافية البيئية لا شك سينتج أعمالا إما أن تكون دخيلة على البيئة أو لا يتوفر لها صدق الأداء. وإحقاقا للحق فإن العكس يحدث فى الكثير من البيئات التلقائية التى لعبت دور المعلم والملهم للفنان الذى أخذ مكان المتلقى حتى استوعب منها وتأثر. ولذا فإن على متخذى القرار توجيه المسار فقط

لتثقيف صناع البيئة الأصليين وتشجيع مهاراتهم الابداعية بدلا من إمدادهم بالأفكار أو المصنوعات وإقحامها. فمثلا يتم ملاحظة المفردات الفنية النابعة من إلهامات الأهالى والمساهمة فى انتاجها ونشرها مثل نماذج من الأبواب أو النوافذ الخشبية بتصميمات مبسطة تحاكى روح المنطقة لتكون نموذجا يحتذى به يقنع المستعمل من ناحية الإستعمال أو من ناحية التكلفة المادية بهدف سهولة التعميم. ويتم التقييم والتطوير لتلك المفردات المعمارية داخل البيئة نفسها وبأيدى ساكنيها حتى يستمر الصالح منها والمقبول ويستبعد غير المناسب. وبذلك يكون الإبداع الفنى نابع من الإمكانات الحرفية المحلية للصانع الذى هو نفسه المستهلك، ومن ثم يتوحد الطابع المحلى المستهدف ويحقق ما عجز عنه المتخصصون بفرض إبداعاتهم الشخصية ولا يلبث أن يلفظها التكوين الخاص للمنطقة لغربتها.

6-1-3 خلق وتنمية الجمال العرفى

من المؤسف حقا إندثار الطابع المعمارى بصفة عامة للعمران فى مصر تحت تأثير الإنصهار الثقافى الذى نتج من الاحتكاكات الثقافية الدخيلة ، حتى أصبح التمادى فى التنوع فى البيئات العمرانية الجديدة هو الصفة الغالبة. ويرى الباحث أن من أهم الفرص لتكوين طابع مصرى خاص أن تكون المرجعية للطابع العمرانى من وحى القاهرة القديمة وما تضم من مساجد ومبانى تاريخية من منازل أو تكايا وأسبلة. تلك الأعمال المعمارية و مفرداتها الزخرفية قد استمتع بمشاهدتها كل مصرى خلال مراحل مبكرة من عمره وتظل نشطة معه فى داخل وجدانه على مدى العمر. فكما ذكر د. شاكر عبد الحميد فى دراسته المستفيضة للتفضيل الجمالى أنها تظل نشطة فى تلك المنطقة الخاصة من العقل والتى تسمى ما قبل الشعور (Sub- Consciousness)، وهى المنطقة التى توجد فيما بين الشعور واللاشعور وهى ليست منطقة وعى كامل أو لا وعى كامل. إنها منطقة أحلام اليقظة والخيال[10].

فكذلك يمكن استخدام هذه الخاصية من التسجيل فى الوجدان ب زيادة غرس المفردات الإبداعية والبسيطة من عناصر العمارة خاصة التى أفرزها السكان المعاصرون من البيئة نفسها ولاقت قبولا ويتم تشكيلها ببطء وحتى لا تعتمد على حاسة التذوق الفنى وحده وإنما يتم ربطها وظيفيا ومعنويا باحتياجات السكان فيتم هضمها وإدراك الجمال فيها على المستوى العقلى أو المعرفى. وعلى المدى الزمنى تتأقلم العين على تلك المفردات وتتكرر وتصير من المستحسنات ، ومن ثم تشكل شفرات خاصة بالعمران المحلى وتكون بمثابة العرف فى الجمال . فكم نجحت بعض المصاطب أو المقاعد العامة أو وسائل نقل بسيطة أو مواد بناء فى إضفاء طابع أصبح من بصمات الجمال فى بيئات مختلفة دون تكلف من المبدعين لإبراز ذلك الجمال.

6-1-4 التدريب البصرى للعامة لإدراك القيم الفنية للآثار والتراث

وإن كان الإدراك على المستوى الشكلى للجمال يتطلب تدريبا للعين على التقاط أوجه الجمال فى الأشياء فإن من المرجح أن تغذية المتلقى بهذه المهارة من التذوق عن طريق التوجه التثقيفى هو الأكثر فعالية. كما يمكن غرس القيم الجمالية بالتدريب الملموس ووضع برامج ومناهج التدريب البصرى بآليات أكثر مباشرة. وتتضافر الجهود من كافة الجهات فى مسئوليتها فى وضع البرامج

---

[10] **د. شاكر عبد الحميد** :"التفضيل الجمالى، دراسة فى سيكولوجية التذوق الفنى" - مطابع الوطن - الكويت – 2001- ص416

لغرس القيم التذوقية والجمالية، ومن أهم هذه الجهات الوزارات الحكومية مثل وزارة الثقافة ووزارة التربية والتعليم ووزارة التعليم العالى ووزارة الإعلام (الإذاعة والتليفزيون والصحافة) والتى يلعب كل منها دورا فعالا فى تكوين الوسائل التدريبية المؤثرة على تذوق العامة.

ويمكن التركيز فى هذا الصدد على الإعلام حيث يلعب الدور الأكبر فى التغلغل إلى الأفكار بصورة لا ينكرها أحد. فهو يملك من القوة أن يغرس القيم الجمالية وتقديمها إلى المنزل المصرى سواء بالبرامج التثقيفية المباشرة أو من خلال الأعمال الفنية المتضمنة للجمال بمعانيه المادية والمعنوية والنقض لأشكال القبح والنشاز. وللإعلام دور هام فى مخاطبة الأسرة مباشرة وتعليمها أهمية النظافة والتنظيم وتصميم الأثاث وتناسب حجمه مع الفراغات والانسجام اللونى بين الجدران والستائر والمفروشات. ويمكن التركيز على تدريب الأم غير العاملة بشكل أساسى لتحملها مسؤلية الحفاظ على المنزل وصيانته وإبراز دورها فى نقل ذلك الإحساس إلى أطفالها ويتم لها بأقل التكاليف.

كما أن للإعلام دورا هاما فى الارتقاء بالتذوق الفنى فإن للتعليم دورا أيضا فى غرس أنماط الجمال مع التنشئة بداية من التعليم الأساسى حيث يكون الاهتمام بداية بتنسيق الفصول والأحواش فى المدرسة بالإمكانيات المتاحة ومشاركة التلاميذ فى زراعة الزهور والأشجار والاهتمام بالنظافة. كما يمكن نقل القيمة الفنية من خلال تطوير المواد الدراسية للأنشطة مثل الرسم والفنون والأشغال اليدوية والموسيقى والاهتمام بتكثيفها وإضفاء المتعة فى تدريسها وحب الدراسة واكتشاف نقاط الجمال المحيطة بنا فى البيئة. كما يجب أن تكون الكتب المدرسية على مستوى راق لتحتوى على الصور والنماذج للأعمال الفنية والمعمارية من تراثنا المحلى والعالمى، ويتم تصميم الأغلفة ويعتنى باختيار الصور الملونة التى تتعلق بالموضوعات المثارة. هذا بالإضافة إلى تقديم المناهج المبسطة للأطفال والمعلومات عن المبانى التراثية والآثار.

ويمكن أن يكون للرحلات المدرسية والسياحية دورها الهام فى التنقل داخل المدن والتعرف الميدانى على المبانى المعمارية المتميزة والأماكن ذات القيمة لشرح أهميتها سواء من الناحية الجمالية أو التاريخية. ويمكن أن تنظم المسابقات الفنية وتنظيم المعارض التى يشارك فيها الأطفال داخل بعض تلك المبانى أو الأماكن التراثية لزيادة التفاعل على المستوى المعرفى وخلق ذلك الإنتماء بالأنشطة وليس بمجرد الزيارة حتى تنتج علاقة حميمة بين الأطفال والمكان. ويساعد على غرس القيمة الجمالية الشكلية تنظيم الرسم الجماعى فى المواقع مما يدرب العين على النسب والمفردات المعمارية وتثبيتها فى الذاكرة.

وعلى صعيد آخر يجب ربط المناسبات الأصيلة بالعمران فى القاهرة التاريخية للتدعيم المعنوى وزرع الثقة والفخر بالثقافة المحلية وربطها بجماليات المنطقة. فعلى سبيل المثال يمكن إبراز القيم الصافية بإحياء المناسبات الدينية فى الأماكن الشعبية والتراثية من تزيين بمشاركة الأهالى لشوارعهم بالأعلام والفوانيس فى شهر رمضان، أو توجيه الموالد وتزيين المزارات لمراقد آل البيت والأولياء الذين تشرف بلادنا بضمها إياها والتى تتمتع بالشعبية الجارفة. وينتهز المجتمع تلك المناسبات فى تطوير الأحياء وتنظيفها وتجديد المتهالك من المبانى ودهاناتها من قبل أهل الخير لاستقبال ضيوفها.

2-6 ترشيد التخصص

والمقصود بترشيد التخصص هو ضمان تناول المتخصصين حل المشكلات المتعلقة بالسلوكيات ببطء وتؤدة حتى يمكن تدارك التأثيرات النفسية غير المتوقعة ومراجعة تقييم خطوات المعالجة أثناء تنفيذها. وكم اتخذت المحليات من قرارات، وهى الجهة صاحبة اليد العليا فى السيطرة على البيئات ذات القيمة، كانت سببا فى تدهور العديد من البيئات العمرانية. ولايقل الخطأ من قبل المتخصصين والفنانين خطورة فى اتخاذ القرارات عن ما تعالجه تلك القرارات من مشكلات حيث يصعب تدارك أى من تلك الأخطاء وتظل أمرا واقعا على مدى الزمن. ولذا رأينا أن ندرج بعض التوصيات بشأن ترشيد التخصص.

1-2-6 تفهم قيمة الجمال المعرفى

من الضرورى أن يدرك المتخصصون أن جمال المنطقة ناتج عن مجموع المقومات البيئية البنائية والاجتماعية. ومن ثم يكون للعلاقات الإنسانية والحياة اليومية لسكان المنطقة وزن لا يقل عن أهمية المبانى التراثية. ولذلك فإنه من المهم إدراك العلاقة بين جمال القاهرة التاريخية بوجه عام وبين قواعد وأعراف ارتبطت بعموم السكان تنظم الحياة على مدى أحقاب متعاقبة. هذه التفاعلات الإنسانية المتوارثة هى جزء من منظومة المكان أو بمعنى آخر هى أحد جوانب روحه المتأصلة فيه. فعلى سبيل المثال يمكن أن ينتج عن الضغط لتهجير فئات من السكان خارج أحياءهم السكنية واستقدام آخرين أن تستحدث منظومة جديدة من المصالح وخلخلة فى العلاقات الإنسانية لأغلبية من السكان ولدوا وتربوا فى المنطقة وتوارثوا المساكن أو المتاجر من الآباء وربط بينهم روابط إنسانية وقيم تتعلق بالجيرة والتواصل الاجتماعى. هذا بالإضافة إلى أنه قد تتغير موازين القوى فى التأثير على حياة الشارع وسلوكياته وخاصة أصحاب المحلات،[11] وبالتالى تتغير موازين كسب الرزق وتستحدث أنماط سلوكية تطغى فى الأغلب بالماديات على طبيعة الحياة الأصيلة، ومن ثم يتم اختراق ثقافة خاصة جدا تأصلت فى أحياء القاهرة التاريخية وقاومت التغير بحكم إنغلاق النسيج العمرانى المنيع الذى قاوم الدخلاء على مدى مئات السنين. وتنصهر بالتالى ثقافات دخيلة لفئات مستغربة ينتج عنها تغير تدريجى فى الطبيعة السكانية وبالتالى فى طبيعة وروح المناطق الشعبية فى القاهرة التاريخية ككل.

2-2-6 الإرتقاء بالتوجهات فى التجميل على المستوى الشكلى

وبالرغم من أن إدراك الجمال الشكلى هو من صميم تخصص المصممين والفنانين، إلا أنه يجدر التوصية بترشيد التخصص من حيث عدم الاندفاع بالمبالغة فى إبراز قيم ت تعلق بالنسب والألوان والخامات الدخيلة بمفردات العمارة الإسلامية القديمة وإغفال التغيرات التى حدثت بحكم الزمن خاصة فى المساكن غير الأثرية. لذا ليس بالضرورة إختيار المفردات المعمارية الملزمة لعمليات الارتقاء محاكية تماما لعصور مضت وإنما يكفى إضفاء الروح المميزة للبيئة الأصيلة على

---

[11] حيث أن للمحلات قوى أكبر فى الاحساس بالامتلاك الرمزى للفراغات، فهى العنصر الأكبر فى السيطرة على الشارع وتنظيفه كما ذكر كابلمان فى تعريفه للامتلاك الرمزى، وتزيينه وإضاءته فى المناسبات كما ذكر سومر، من المقومات المؤدية إلى الاحساس بالامتلاك الرمزى والتى ذكرها جوليان إدنى عن جوفمان
Harold Proshansky, Ed:"Environmental Psychology, People and Their Physical Settings" فى (1976).

مفردات أكثر بساطة فتكون بمثابة لمسات من الفنان المجدد تمس أعماق المتلقى بالرغم من بساطتها.

ولذا فإن أى محاولة لاستخدام المشربيات بغزارة مثلا يتنافى مع بساطة البيئة المبنية والاجتماعية الموجودة فى الواقع، أو أن يتم استخدام بياض الحجر الصناعى بتقسيم ات الحجر فى طريقة البناء التقليدى، وهو بمثابة خدعة بصرية سرعان ما تنكشف، أوالمبالغة فى استخدام العقود بحجة أنها من مفردات الطابع الاسلامى فيتسبب ذلك فى افتعال يتنافى مع الصدق فى التعبير، وهو من أهم العناصر المميزة للمنطقة دون التطوير . ومن المؤسف أنه حتى مع حرص المتخصصين على

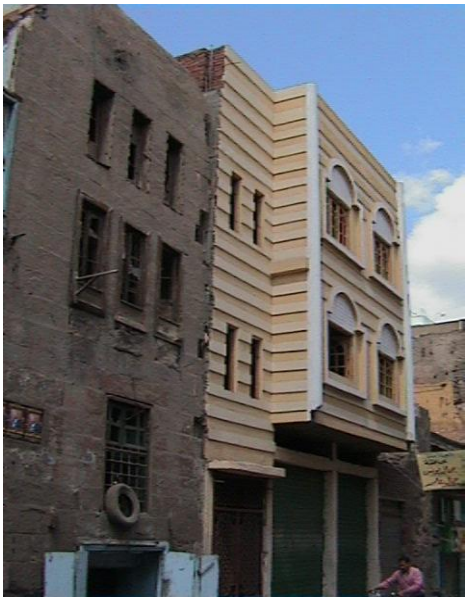

شكل رقم 3 : أمثلة لتوجهات المتخصصين فى تطوير الجماليات، فى الصورة الأولى تم إخلاء وترميم المبنى لقيمته الأثرية و فى الصورة الثانية تم فرض طابع معمارى على مبنى سكنى جديد تم إنشاؤه فى إطار نماذج معدة من قبل يتم تعميمها فى المنطقة.

التجميل على المستوى الشكلى فإنه قد يجانبهم الصواب فى قرارات التجميل والحفاظ حتى بالنسبة للإدراك على المستوى الشكلى نفسه، فضلا عن ال تعارض مع أسس الجمال على المستوى المعرفى والأثر السلبى على طبيعة المنطقة. فعلى سبيل المثال تتجه النيات إلى تغيير عروض الشوارع الرئيسية باستحداث الردود عند بناء قطع الأراضى الفضاء ، وقد تم بالفعل المضى قدما فى هذا الاتجاه فى شارع حيضان الموصلى وغيره . فتوسعة الشوارع بغرض تيسير الحركة قد يؤدى إلى تشجيع المرور الآلى داخل المناطق العمرانية التاريخية أو انتظار السيارات فى الجيوب الناشئة عن الردود، وبالتالى يتغير سلوك المشاة، وتتغير طبيعة التواصل الاجتماعى الناتج من مقياس الفراغ ودرجة احتواءه ، ومقياس الاحساس بالعام والخاص، والتفاعلات الإنسانية بين الجيران وأصحاب المحلات، واختلاف زوايا الرؤية للفراغات والواجهات، فضلا عن درجة التظليل وتأثير ذلك على تمتع الفراغات العمرانية بالحماية من الحرارة فى الصيف من عدمه .

وذلك قليل من كثير يحتاج إلى دراسة مستفيضة لما يهدد بتغ يير نمطا عمرانيا ظل متماسكا لأكثر من مائة عام.

3-6 تنمية روح الانتماء

إن أحد أهم العوامل الثقافية المؤثرة فى الحفاظ على جماليات المنطقة التاريخية بالقاهرة هو ارتباط الانسان بالمكان وهو ما يعرف بالانتماء. ولم تنجح القوانين فى ضبط علاقة الانسان بالمكان مثلما نجحت روح الانتماء فى ذلك بوازع داخلى يضمن الحفاظ على هيئته وصيانته. ولذا يعطى البحث أهمية ذلك العامل ، إلا أن التوصيات سوفتناوله من اتجاهين متقابلين: إنتماء العامة ، وانتماء المتخصصون. ولا شك أن لدى كلا الطرفين نوع من الإنتماء والغيرة على تلك الثروة الجمالية لمنطقة القاهرة التاريخية، إلا أن كل منهما له ميل لبعض مقومات الإنتماء تختلف عن الآخر كل حسب رؤيته وبالتالى لا تتوحد الأهداف فى الحفاظ على جماليات المنطقة.

وقد تناولت دراسات عديدة ظاهرة الإنتماء ولاقت إهتماما كبيرا من الجانب الاجتماعى وتشرح لنا العلاقة بين الإنسان والبيئة المادية، وتبين لنا تلك الرابطة التى لا تنفصل عن التعرف على النفس والثقافة. فأطفالنا وعملنا وأملاكنا لا تنفصل بحال عن أجسامنا وندفع عنها أى هجوم أو تعدى. فإن أى من الأشياء التى تخص الإنسان لا شك تمثل جزءا منه بشكل ما. والتعلق يمكن أن يكون معنويا أو منفعيا، فتعلقنا بالحيوانات الأليفة أو بقطعة موسيقى يختلف عن تعلقنا بالسيارة مثلا. كما أن للأشياء التى من صنعنا قيمة خاصة فى الاحساس تجاهها. فمثلا فرش المنزل وتزيينه هو تأكيد بأن ذلك المنزل ملك لنا حقا. [12]

والامتلاك لا يقتصر على الأشياء التى تخصنا بتعريف القانون فقط وإنما هو كل ما نسميه "لنا" بما فيه الملكية الفعلية أو التحكم المؤقت فى الأشياء، ويمتد ذلك الشعور إلى الرموز أو أحيانا إلى الأشخاص أيضا. أما المكان أو "البيت" بمفهومه الصغير أو الكبير والذى يشمل الحى أو المنطقة فهو من أكثر الأشياء التى يتعلق بها الإنسان وسجلها الباحثون ومن أهمها تعريفا بثقافته وهويته. فالتعلق بمكان المعيشة هو الرمز والتاريخ والطفولة والتنشئة والتعبير عن الذات. وإن كان للمصريين تعلقا ببعض الأماكن مثل الآثار الفرعونية أو المناطق التراثية فإن مصدر ذلك التعلق هو الإحساس بأن تلك المناطق بمثابة خلفية تحمى ظهورنا وتؤكد ذاتنا حيث تمثل عبق تاريخ سادت الأمة فيه العالم وتفوقت فى وقت كان يعيش الآخرون فى ظلمات الجهل. بل قد يمتد ذلك الإحساس فى مقياس العموم إلى غير المصريين حيث تمثل الآثار خلفية للتراث الإنسانى نفسه وتشكل مصدر فخر لما تحقق على يد البشرية، فتكون جزءا من تملك رمزى لذلك التراث يدفع المنظمات العالمية لتمويل الحفاظ عليه بالمال والخبرة.

إذن لمنطقة القاهرة التاريخية قيمة تتعلق بانتماء المصريين كافة يمثل مصدر فخر واعتزاز لهم . وقد يزيد مقدار هذا النوع من الإنتماء لدى المتخصصين لما لهم من دراية أكبر من غيرهم بالقيمة التاريخية للمبانى ومعرفتهم النظرية بانفراد تلك المبانى بقيمة فنية لا يضاهيها ثمن مادى . ولكن يختلف ذلك الشعور نوعيا عن الشعور بالانتماء الناتج عن المعايشة والانتفاع، وهو شعور العامة

---

[12] **Belk, R.W .-** *"Possessions and the extended self"* - Journal of Consumer Research -1988- p.139-168.

من الأهالى حيث تشكل المنطقة تاريخ حياة شخصى لكل فرد عاش فيها وتأثر بها. وإن لم يكن للعامة دراية بتفاصيل التاريخ أو بالقيمة التراثية والأثرية لبعض المبانى التى يدخلها ويستعملها من خلال حياته اليومية إلا أنه قد يختزل الفرد القيمة التاريخية للمنطقة فى وجدانه من حيث ارتباطها بوجود رفات عدد من آل بيت الرسول صلى الله عليهوسلمخ مثل سيدنا الحسين والسيدة فاطمة النبوية والعديد من المزارات غير المشهورة والمنتشرة فى أرجاءها . ويختلط البعد التاريخى حينئذ بقيم روحانية غير مادية أو شكلية تتعلق بحب آل البيت أو البركة.
فالتاريخ بكل موروثاته من آثار فرعونية أو رومانية أو غيره وإن أصبح تاريخا يقرأ للتعرف عليه فهو يختلف لا شك عن الموروثات الإسلامية والتى تشكل جزء حيوى من البيئة العمرانية التى لا يزال يعيش فيها ومعها الناس ولا زالت ت متزج بالمعتقدات و الديانة و القيم الاجتماعية السائدة. فالكثير من الآثار الاسلامية فى القاهرة التاريخية عبارة عن مساجد يقام فيها الصلاة، ومساكن ترجع إلى مئات السنين مازالت مسكونة وينتفع بها الناس. فهنا يضاف للانتماء القومى لأحداث التاريخ الإنتماء الحى وتجارب معيشة عمر فيه سنوات الطفولة والشباب ، فيضاف عنصر الامتلاك الفعلى إلى الامتلاك الرمزى.

وتكمن المشكلة فى تفاوت الأحاسيس بنوعية الانتماء بين شخص وآخر تبعا لظروف تنشئته أو ثقافته. فالثقافة العامة للمسئولين والمتخصصين يزيد توجهها إلى الانتماء القومى والتاريخى لمناطق القاهرة التاريخية، بينما ترجح كفة الانتماء الفعلى والمنفعى عند العامة من سكان تلك المناطق بتواجدهم الفعلى فيها، مما يتطلب العمل على إعادة التوازن بين إنتماء الفئتين ، ليس بغرض التسوية بينهما ولكن لتقريب الفهم لكلا الطرفين . فجمهور السكان بحاجة إلى التوعية بقيمة تاريخ تلك المناطق وأن الحفاظ عليها هو حفاظ على قيمة تتعدى حدود استعمالهم لها حيث تشكل تاريخ الوطن ومبعث فخره، تماما كما يجب أن يتفهم المتخصصون طبيعة انتماء هؤلاء السكان لمكان ولدوا به ونشؤا وصاغوا جماله بامتزاجهم به. ونرى ذلك ممكنا بتعايش المتخصصين ومتخذى القرار بأن تكون مقار عملهم داخل ذلك النسيج العمرانى لا ينفصل عن ظروف المعيشة اليومية للعامة فى إطار مشاركة ولو جزئية لملمس المشاكل عند تحديد مسارات القرارات المتعلقة بجمال القاهرة التاريخية.

7- المراجع

- **أميرة حلمى مطر:** "فلسفة الجمال، أعلامها ومذاهبها" – الهيئة المصرية العامة للكتاب -2003

- **شاكر عبد الحميد:** "التفضيل الجمالى، دراسة فى سيكولوجيات التذوق الفنى" – المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب – مطابع الوطن - الكويت- 2001

- **محمود يسرى** : الباحث الرئيسى فى دراسة: " التلوث المرئى للقاهرة الكبرى- الجزء الأول: دراسة حالة القاهرة التاريخية " - التقرير الدورى الثالث – أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا- المجالس النوعية- مجلس بحوث التشييد والمجتمعات الجديدة – 2002

- **Crozier, W. R. & Chapman, A. J.** –Introduction in: W.R. Crozier & A. J. Chapman. (Eds).-"*the Cognitive Processes in the Perception of Art".* – North Hollan: Elsevier Science Publishers – 1984.

- **Ittelson, William:** *"Environment Perception and Contemporary Perceptual Theory" in "Environmental Psychology, People and their Physical Settings"* edited by Harold Proshansky, William Ittelson, and Leanne G. Rivlin - 1976.

- **Lang, Jon:** *"Creating Architectural Theory: The Role of the Behavioral Sciences in Environmental Design"*, Van Nostrand Reinhold Company, New York. - 1987.

- **Belk, R.W.**. *"Possessions and the extended self" in Journal of Consumer Research,* -1988.

- **Rapoport, Amos:** *"Pedestrian Street Use: Culture and Perception" in Public Streets for Public Use"* edited by Anne Vernez Moudon- Van Nostrand Reinhold- New York- 1987.

- **Edney, J. Julian:** *"Human Territoriality"* in *"Environmental Psychology, People and their Physical Settings"* edited by Harold Proshansky, William Ittelson, and Leanne G. Rivlin - 1976.